صوت

28.11.96

أم الانتصارات... كردياً!

■ لا جدال في ان ١٩٩٦ كان أسوأ عام مرّ على أكراد العراق منذ نهاية حرب الخليج الثانية. فهذا هو العام الذي كرسوا فيه انقسامهم وضيعوا نهائيا أفضل فرصة تاريخية لاثبات انهم قادرون على تغليب المصلحة الوطنية على مصلحة الانتماء الى عشيرة او حزب او زعيم.

ويمكن اختصار ما حدث بكلمة واحدة: الفشل. مَن المسؤول؟ الاكراد انفسهم مع عدم انكار عوامل اخرى لعبت دورها في هذا الفشل على رغم ارادتهم. لكن مَن غير الاكراد يتحمل مسؤولية انهيار وحدتهم على رغم ادراكهم انهم ضعفاء حتى مع كونهم متحدين، بينما من دون ذلك لا احد يحسب لهم حسابا.

مسؤولية الفشل الكردي يتحملها تحديدا الحزبان «القائدان»، الديموقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني. واذا اريد التحديد اكثر فقيادتاهما، واذا اريد التحديد اكثر ايضا فزعيماهما، مسعود بارزاني وجلال طالباني. الطرفان تمسكا بعنادهما ورفضا الاعتراف بأن «قضيتهما» الشخصية شيء والقضية الكردية شيء آخر. وما يبقى مهما هو المحصلة الاخيرة التي وصلت اليها حال الاكراد في العراق وما فعلوه بكيانهم. والمحصلة واضحة وهي كارثة.

أوقع الحزبان كل هذه الكوارث بالقضية الكردية ولا يزال كل منهما يتنصل من اي مسؤولية وينسبها بالكامل للطرف الآخر، او اي آخر. الآخر هو التركي او الايراني، الاميركي او حزب العمال الكردستاني، السوري او استخبارات صدام او حتى احمد الجلبي (الاكراد المنصفون يعترفون بان احمد الجلبي خدم قضيتهم كما لم يخدمها اي زعيم عربي عراقي معارض. يكفي انه عرض حياته للموت من اجلهم خلال اقتتالهم الاخير اكثر مما فعل معظم الزعماء الاكراد خلال عشر سنوات).

فعل الحزبان كل ما فعلاه بالاكراد على رغم تأكيدات لزعيميهما، غير مرة، انهما يفضلان الاعتكاف على السماح بتحول كردستان صومالاً او افغانستان. أما في الواقع فكل منهما يصر على ان ما فعله الآخر هو خيانة وعار، بينما ما فعله هو ليس سوى «ام الانتصارات» بعينها! اربيل مثال على ذلك. فبارزاني اعتبر خنوعه لصدام بطلبه منه ارسال قواته لاستعادتها (في مقابل دفع الثمن كاملا طبعا) «تحريرا» للمدينة و«انتصاراً تاريخياً» للحركة الكردية لانه خلصها، للمرة الاولى منذ ثلاثة عقود، من المؤامرات التخريبية لطالباني. وبعد عملية اربيل والسليمانية اصدر بارزاني بيانا اعتبر فيه كل ما فعله منذ نهاية حرب الخليج بطولات ومكاسب وايجابيات، محملا طالباني وحزبه كامل المسؤولية عن الحال التي وصل اليها الاكراد.

في المقابل اعتبر طالباني ما فعله الطرف الآخر في اربيل «انتصارا تاريخيا» للحركة الكردية لانه قدم البرهان على ان بارزاني «عميل» لصدام. وفي بيان اصدرته قيادة حزب طالباني، اثر اجتماعات عقدتها أخيراً لتقويم الاوضاع، كررت سخافة «الانتصار التاريخي» لعملية اربيل واصرت على ان هذه القيادة لم ترتكب ولو خطأ واحدا طوال الفترة الماضية، باستثناء... عدم ضبط التراجع العسكري! حقاً إنها «أم انتصارات» صدّامية على الطريقة الكردية.

يعجب اكراد كثيرون، واصدقاء اجانب لهم، كيف ان كل هذه الكوارث لم تسفر ولو عن انشقاق واحد في اي من الحزبين، ولم تحمل ولو مثقفاً او متنوراً فيهما على احتجاج او انتقاد. فحتى صدام انشق عليه خلال السنوات الست الماضية مئات العسكريين والمسؤولين والديبلوماسيين، كباراً وصغاراً.

لعل مثقفي ومتنوري الحزبين يسكنهم ان يتباهوا بكون «ام الانتصارات» الكردية أمتن من اختها الصدّامية!

كامران قره داغي